

آراء

شجاعة لجين وحسابات الإدارة الأميركية

ليس اندوني

نفرح بحرية لجين الهدلول ونوف عبد العزيز، ونتمنى ألا يبقى سجين رأي أو سياسي واحد في العالم العربي. لكن ظروف إطلاق سراح الناشطين السعوديين في بلدهما تذكرنا بايند، لبقيتنا معتقلين. وبالتالي، لا بد من ضغط أميركي «حقيقي» على الحكومات العربية، لتعترف بحقوقنا، نحن الشعوب، في الكلام والتعبير والعمل السياسي، وهو ما لا تبادر إليه الولايات المتحدة إلا لماماً، وفي سوء السياسة الأميركية. ويُشار هنا إلى هذا الأمر من دون الاستهانة بشجاعة لجين أو نوف، أو بعدالة النضال من أجل حقوق المواطنة والمساواة.

الطرف الآخر للمعادلة أنّ كبح الحريات وملء السجون بارواح يتحكم فيها الحكام، في الدول العربية، يعود، أحياناً، إلى المعارضة الشعبية لتبعية الولايات المتحدة الأقواء سياسات أميركية تتخلل تكميم الأفواه وتعذيب الأجساد. فدفاع الولايات المتحدة عن معتقل أمرٌ يخضع لحساباتٍ سياسية لا دخل لها بالدفاع عن حقوق الإنسان، فسواء كانت الدولة المعنية مؤيدة لأميركا أو منأونة لها، وسواء اعتبرت واشنطن النظام حليفاً أو عدواً، فالسياسة تحكم موقفها. وفي معظم الأحيان، تستعمل انتهاكات حقوق الإنسان ورقة ضغط لإضعاف نظام أو ابترازه

شجاعة لجين وحسابات الإدارة الأميركية

لتبني سياساتٍ لا علاقة لها بالحقوق أو العدالة، بل خدمة لأهداف واشنطن الإنية أو الإستراتيجية. لا يمكننا تبرير بطش الأنظمة بموقف أميركا أو تدخلها، لكن تاريخ الانقلابات العسكرية، وغير العسكرية، حافل بتصنيع ديكتاتوريات دمويةٍ في أرجاء المعمورة، وإن كان للأميركيّين، الوسطى والجنوبية، النصيب الأكبر من سلسلة الانقلابات الموجهة والمنقذة من وكالة المخابرات الأميركية. وقد اعتذرت الولايات المتحدة، بعد مرور عقود، عن أدوار لها في بعض الانقلابات، ولم تعتذر عن كلها، ودائماً وفقاً للتغيير في المصالح الإخفاء القصير، لم تقدم تعويضاً لأيّ من ضحاياها.

وفي العالم العربي وغيره، دول حليفة لأميركا وأخرى معادية لها، تبعد في الانتهاكات وفنون الاعتقال والتعذيب والإخفاء القصير أو الطويل سنوات أو إلى الأبد، يعود المعارض جثة مشوهة أو لا يعود. وذلك تحت شعارات مختلفة ومتناقضة، من قبيل مقاومة أميركا وإسرائيل مثلاً. قد يخفت الموقف السياسي بين دولة وأخرى، وهذا مهم، لكن الأهم أنهما قد تتساويان في احتقار النفس الإنسانية أو تتنافسان فيه. في حالتي الناشطة لجين الهدلول التي أمضت نحو خمس سنوات في السجن، وذكّرت تقارير أنها تعرضت في الأثناء لتعذيب، بدأت تتحدّث عن تفاصيله الاليمية بنفسها وقد أصبحت طليقة، والمدوّنة نوف عبد العزيز،

التي يلقبها حراكيون سعوديون بالمدافعة عن المظلومين، سيكون لها ما ترويه، وفقاً لوضعها، في حالتيهما، كما بشأن معظم زملائيهما وزميلاتهما في الاعتقال، كان الموقف الأميركي إما صمتاً أو تواطؤاً، كما في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب، الأمر الذي انتهى بتدخل أدى إلى الإفراج عنهما، وقد يؤدي إلى إطلاق معتقلين آخرين، وذلك اتساقاً مع قرار الإدارة الأميركية الجديدة إرساء قواعد أكثر صرامة مع من كانوا أصدقاء ترامب وحلفاءه المقربين في المنطقة، أي إن ظروف استمرار اعتقال لجين ونوف، ثم إطلاق سراحهما، خضعت لحساباتٍ وصراعاتٍ سياسية، ترتب عنها صمت أميركي أو اعتراض أميركي، فالتوجه إلى إدارة بايند والحزب الديمقراطي يفرض على حلفاء الولايات المتحدة الذين كانوا أقرب إلى إدارة ترامب تحسين وضع حقوق الإنسان، كجزء من رؤية بايند لتحسين صورة أميركا التي اهتزت أمام حلفائها، نتيجة تهور التوجه اليميني المتشدد لترامب وفجأته، لكنها أيضاً تخدم أوجه كبح جماح هؤلاء في تعاملهم مع الحلفاء التقليديين من الأنظمة العربية في المنطقة. ليس للجين ونوف علاقة بهذه الأحداث، طالبت لجين بحقوق مدنية، وبوقف منع النساء في السعودية من قيادة السيارة. صحيح أن صاحب القرار في المملكة أطلق «انفتاحاً» غير مسبوق، كما من تمثيلائه الاعتراف بقانونية قيادة المرأة

شجاعة لجين وحسابات الإدارة الأميركية

حكاية الناشطات السعوديات ملهمة لكل من يطمح إلى التغيير في الحقوق المدنية والقانون في العالم العربي

لكن التغيير يبدو أنه يجب أن يأتي من فوق، تأكيداً لسلطة الدولة، فبدلاً من «جريمة» لجين هي تحديّ أصحاب السلطة، فليس مسموحاً أن يكون التغيير خاضعاً لمطالب حقوقية أو مدنية، ففي هذا خرق لعلاقة الإذعان المفروضة على المواطن في أكثر من دولة عربية. عدا أن الناشطات تحدين الدور التقليدي الذي تفرضه بعض الحكومات على المرأة، وكان في أنهن نساء تحدياً لرجولة المسؤولين، وهي حالة تعرضت لها ناشطات عربيات كثيرات، فحقوق المرأة

فوق، تأكيداً لسلطة الدولة، فبدلاً من «جريمة» لجين هي تحديّ أصحاب السلطة، فليس مسموحاً أن يكون التغيير خاضعاً لمطالب حقوقية أو مدنية، ففي هذا خرق لعلاقة الإذعان المفروضة على المواطن في أكثر من دولة عربية. عدا أن الناشطات تحدين الدور التقليدي الذي تفرضه بعض الحكومات على المرأة، وكان في أنهن نساء تحدياً لرجولة المسؤولين، وهي حالة تعرضت لها ناشطات عربيات كثيرات، فحقوق المرأة

المقاومة مذهبية والمهمة وطنية

راتب شعبي

اتساع دائرة الذين يتهمون حزب الله في جريمة اغتيال الكاتب والناشط لقمان سليم تعادل إبانة، بصرف النظر عن التحقيق ونتائجه، لأنه يعكس مدى انحطاط تقييم الحزب في النظر العام. ما وصل إليه حزب الله، لا سيما في أنظار لبنانيين وسوريين كثيرين، كان كامناً في تكوين الحزب، كما الموت في القبيلة.

على ضوء التراجع الحادّ في اعتبار هذا الحزب، بعد أن تحوّل إلى قوة قمع وترهيب من خارج الدولة، سواء في داخل لبنان أو خارجه، يبرز السؤال: ماذا تصبح المقاومة عندما تكفّ عن المقاومة؟ العادة أن المقاومة التي تحزّر بلدها من الاحتلال تستولي على الحكم في البلد، مستفجرة رصيدها الوطني، وتتحوّل إلى استبداد يعاش في الواقع على هذا الرصيد ويستهلكه، وهكذا تنشأ في المجتمع مقاومة جديدة ضد المقاومة القديمة التي صارت حكماً مستبداً. غير أن حزب الله في لبنان استهلك رصيده «الوطني» بطريقة أخرى أكثر تعقيداً.

لم تكن المقاومة التي حرّزت جنوب لبنان وطنية، بل مذهبية، وهي بذلك فوّتت على لبنان إمكانية جمع الطوائف في عقدة وطنية، على اعتبار أن مقاومة الاحتلال تشكلّ قاسماً مشتركاً لغالبية اللبنانيين. كذلك فوّتت على لبنان فرصة الزهو الوطني

الذي يعقب تحرير الأرض، حين شعر اللبنانيون، سيما غير الشيعية منهم، أن هذا التحرير نصرٌ لفئة لبنانية أكثر مما هو نصر وطني عام. ولكن الأهم أن الحزب راح، بعد التحرير، يصرّف رصيده «الوطني» في قمع الآخرين معنوياً (طهر فك قبل أن تتكلم عن المقاومة)، ويصرّف سلاحه وقوته البشرية في سند ذاك القمع المعنوي بالقوة المادية، عبر فرض سياساته وترهيب مخالفه أو قتلهم، ولا سيما حين يكونون من الوسط الاجتماعي للحزب. هكذا نشأت في لبنان مقاومة للمقاومة تستمد قيمتها المعنوية من انحطاط القيمة المعنوية للمقاومة السابقة التي تحوّلت إلى قوة قمع وطغيان في الدولة ومن خارج الدولة.

أنجز حزب الله تحرير جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيلي ببطولةٍ لم ينكرها عليه أحد، وتحوّل الحزب وأمينه العام إلى أيقونة للمقاومة لدى الشعوب العربية التي حزنها شعور قومي، من دون أن يحضر في ذهنها الاختلاف المذهبي مع الحزب المقاوم الذي كان، في عزّ قيمته، يبرز مذهبيته، ويخلص لها، ويجعل منها العصب الذي يشدّ مقالاته. الديموقراطيون العلمانيون اللبنانيون والعرب غضّوا النظر أيضاً عن الطبيعة الدينية للحزب، وكبسوا جراحهم بالملح، حين أقدم هذه الحزب الذي أبهرهم في أدائه وانضباطه ومقاومته على قتل عدد من أبرز كوادرهم، لكنهم وجدوا أنه ليس

«مناسياً» نقده أو الشكوى منه، مع ذلك، بالفعل، كان نقد حزب الله حينها سبيلاً إلى الانعزال السياسي، أو حتى الدخول في دائرة الشك والخيانة. الدعم المادي الإيراني الكبير، إضافة إلى العصبية المذهبية، شكّلا الميزج الذي أنتج قوة لحزب الله، والمفارقة أن مصدر القوة هذا كان نفسه مصدر الخراب القادم الذي سيعيشه الوطن المحزّر. التحرير الوطني بعصبية مذهبية هو مصدر الخلل. القوة المذهبية التي تقدّم خدمة وطنية ما، سوف ترتد، كما لو بقانون، على الوطنية نفسها وتحطمها. من عصبية مذهبية مستوode من دولة لها مصلحة جاءت قوة حزب الله، أما مقبوليته وقيّمته الاعتبارية فقد نجمت عن تصديّه البطولي وثباته في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي قبل ربيع عام 2000. الإنهار بالعمليات البطولية التي طالما تاق إليها العرب ضد الاحتلال الإسرائيلي، ولا سيما بعد 1967، غطّى على كل ما يضمره تكوين حزب الله وتركيبه من احتمالات، رعب قائمة. كما أن سياسة الحزب التالية للانحساب الإسرائيلي من الجنوب (التسامح حيال جيش لبنان الجنوبي وإيكال أمره للدولة اللبنانية، عدم الطمع بالسلطة السياسية) عزّزت قيمته لدى العموم، إلى حد غدّي الوهم، لدى كثيرين، بأنه حزب ديني «من طراز جديد». شيء مشابه تكرر مع تنظيّمات إسلامية في سورية أبدت

القوة المذهبية التي تقدّم خدمة وطنية ما، سوف ترتد، كما لو بقانون، على الوطنية نفسها وتحطمها

استبسلاً في مواجهة نظام الأسد، فأبهرت أنصار الديموقراطية العلمانية السوريين، وأسكتتهم عن الطبيعة الدينية والسياسية لهذه التنظيمات التي راحت تضيق عليهم، وتعطلهم وتغتالهم، من دون أن يجدوا من المناسب نقدها والشكوى منها، إلا بعد أن استفحل الأمر، كما استفحل في لبنان بعد الانحساب الإسرائيلي، وبشكل أكثر وضوحاً بعد اغتيال رفيق الحريري. ظاهرة مؤلمة يتوهم فيها طرف أنه متخالف مع طرف آخر يكزّ له العداء أكثر مما يكنه للعدو المشترك. طالما أن حزب الله يقاتل إسرائيل فيجب السكوت عنه، واعتبار تعديّاته على مخالفه

ضريبة لا بد منها لقاء دوره الوطني. هذا المنطق اللبناني هو نفسه المنطق الذي تكرر في سورية حرفياً، علينا فقط أن نضع، في الجملة السابقة، التشكيلات الإسلامية في سورية محل حزب الله، ونظام الأسد محل إسرائيل.

في غمرة الصراع العنيف ضد الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، وضد نظام الأسد في سورية، لم يغفل حزب الله، ولا التنظيمات العسكرية الدينية في سورية، عن معاداة الديمقراطيين العلمانيين، وعن ممارسة هذا العداء ضدهم بكل صنوف الاستقواء والعنف الممكنة. وقد قام نضال حزب الله ضد إسرائيل التي تعديدي على الأرض اللبنانية، ونضال التنظيمات الإسلامية ضد نظام الأسد الذي يعتدي على عمومية الدولة السورية، على خلل أصيل، هو الاستناد إلى تنظيّمات دينية تعديدي، بدورها، على تماسك المجتمع، من خلال توظيف العصبية المذهبية في إنجاز مهام وطنية. هذا النوع من النضال أو المقاومة، ولا سيما في مجتمعات متنوعة دينياً، يفتت المجتمع، ويضّر به بما لا يقل عن ضرر العدو الذي تناضل ضده. لم تتأخر هذه التنظيمات في إثبات أن للجانب المذهبي غير الوطني السيطرة النهائية بما يمكنه أن يخزّب أو يعكس كل الإنجازات الوطنية (ضد مستعمر أو ضد طاغية) التي يمكن أن تحققها هذه التنظيمات.

(كاتب سوري في باريس)

الناس تبدأ بالخبز، ولا تنتهي بتوفير الأمن، وذلك كله ليس ضمن أولوياته، وحتى لو شاء ذلك فليس في مقدوره توفيرها، سيما أن إيران وروسيا عارقتان في مشكلات داخلية مستعصية. لا يمكن للنظام أن يتنعم بديمومة صمت الشعب، بعد أن انهارت الخدمات، وتراجعت قيمة العملة، وكذلك بعد أن شعر الناس أن الفصائل المعادية له لن تتمكن من تغييره أو تهديد المدن الواقعة تحت سيطرته. أيضاً، لم تعد أسطورة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) تفيد في حرسها الجمهور خلف القيادة؛ وحرب النظام وروسيا وإيران أخيراً ضد «داعش» هي رسائل إلى أميركا وأوروبا بأن بيد النظام هو «داعش»، وبالتالي عليكم شرعنته، والموافقة على الانتخابات المقررة المقبلة.

يجد النظام الذي باشر حملته الانتخابية نفسه محرجاً، فهناك هيخة تحرير الشام و«قسد» والمناطق التي تحت سيطرة تركيا، وهناك المشكلات التي لا يجد لها حلاً في الحسكة والسويداء ودرعا، ويضاف إلى ذلك علوّ الصوت الموالي، والرافض للنظام والاستخفاف بمسألة الانتخابات، ولسان حالهم يقول: كيف تتم هذه الانتخابات، والنظام ليس قادراً على تأمين الخبز أو الوقود أو الكهرباء وسواه كثير.

(كاتب سوري)

■ مكتب بيروت
■ بيروت ـ الجزيرة ـ شارع باستور ـ بناية 33 west 009611442047 - 009611567794
■ هاتف: البريد الإلكتروني: info@alaraby.co.uk
■ الاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
■ هاتف: 009635190635
■ جوال: +97450059977
■ للاتصالات: alaraby.co.uk/ads

■ المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
■ هاتف: 00442071480366
■ مكتب الدوحة
■ الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ هاتف: 0097440190600

■ نائب رئيس التحرير **حسام كضاني**
■ مدير التحرير **ارست خوري**
■ المدير الفني **إميد منعم**
■ السياسة **جوانة فريحات**
■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام**
■ الثقافة **جمانة درويش**
■ منوعات **ليال حداد**
■ الرباب **معن البياري**
■ المجتمع **يوسف حاج علي**
■ الرياضة **نيك التلياني**
■ تحقيقات **محمد عزام**
■ مراسلون **نزار قنديل**



تصدر عن شركة فضاعات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)